الحديث المرسل
عند الفقهاء والمحدثين

د/عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودى
جامعة الملك سعود ـ كلية التربية
قسم الدراسات الاسلامية

[illegible]

[illegible]

مقدمة

الحمد لله الذى صان دينه وحافظ عليه وجعله صلدا قويا شامخا فلم تؤثر فيه عامل الزمن وتوالى الأيام وكر الليالى • وقد وصل الينا جمع من الأفكار الجلى والمبادىء العليا فعرفنا بها مكانة السنة التى تمثل المكان السامى والقبة الرفيعة لدى أصحاب هذا الدين ولدى الذين اشتغلوا بحفظه وشغلوا بدراسته وتمحيصه والمؤمن لا محيد له من ادراك مضامين سنة رسوله والسير على نمطها وكل ما تفرع عنها من صحيح ومرسل وما عداهما والعمل على تخليصها من كل ما يشوب المتن أو السند وازالة ما يحيط بهما من غثيان وظلمة •

والسند شىء ضرورى وهام بالنسبة للأحاديث ولغيرها مما تقدسه الأمم وتحافظ عليه ولكن من روعة الاسلام أنه امتاز بهذه الميزة العظيمة والمكرمة السامية التى تعطى السنة بعدا فى المعنى وعمقا فى الفكر •

والسنة ما هى الا أحد طريقين أو سبيل من لمبادىء الاسلام وأنظمته وأفكاره كما أنها تعتبر الموضحة لمعانى القرآن والمجلية لما عرض فيه وما اشتمل عليه • كما أنها تعد المفصلة لما أجمل فى القرآن • ولهذا لا عجب ولا غرابة أن يوجب القرآن العمل بالسنة وأن تعتبر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله • ومن هنا جاء الاهتمام بالسنة وبجميع تفريعاتها وفصولها وما تحتويه من سند هو كفيل بأن يعطينا تصورا نحكم على أساسه الحكم الصائب والذى لا يعدوا أن يكون حكما عادلا وأمينا •

وقد أدرك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة ما للسنة من مكانة فأخذوا بها وساروا على نهجها وعلى ضوء منها فعاملوها معاملتهم للقرآن الكريم واحترموها احترامهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحيدوا عنها قيد انملة بل ساروا على نهجها وعملوا بمثلها وطبقوا أخلاقياتها وما المسلم الا من عمل بالقرآن والسنة على حد سواء • والرجوع للسنة رجوع واجب فلا القرآن • يغنى عن السنة كما أن السنة لا تغنى عن القرآن والسنة من وحى الله فلا يمكن أن نستغنى عنها ولا أن ننتقص من قيمتها وقدرها وخاصة أنها قد وصلت الينا صافية خالصة لا يقنع فى نفوسنا ما يبعث على الشك فى كل ما قال لنا الصحابة بأن هذا هو حديث رسول الله اذ أنهم قد هبوا لنجدة سنة الرسول لئلا يدخل فيها دخيل أو يضيع منها شىء ولو صغر • وهو وان كان تدوين السنة لم يحدث فى زمن رسول الله فهذا لا يقدح فى شىء منها فهى محفوظة ومصونة حتى رأى التابعون أن هذا من الضرورة بمكان فقاموا بتدوينها تدوينا أمينا وصادقا وتتبع كل ما صدر عن الرسول وتسجيله دون أن يحدث أى خلل فى السنة ومكانتها وتكاد تجمع الروايات أن أول من فكر بالجمع والتدوين من التابعين هو عمر بن عبد العزيز اذ أرسل الى عامله وقاضيه على المدينة أبى بكر بن حزم (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء)(١) بل لقد أرسل الى جميع ولاة الأمصار والعلماء يطلب منهم مثل هذا « انظروا الى حديث رسول الله فاجمعوه »(٢) •

والذى يظهر أن أبا بكر بن حزم كتب لعمر شيئا من السنة فقد أنفذ اليه ما عند عمرة والقاسم ولكنه لم يدون كل ما فى المدينة من سنة وأثر • وانما فعل هذا الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (١٢٤ هـ) الذى كان علما خفاقا فى عصره والذى كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا اليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد

(١) ، (٢) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ١٠٤ •

أعلم بالسنة منه والذى ذكر مسلم أن لـه تسعين حـديثا لا يرويهـا غيره • هـذا مـع وجود الحسن البصرى واضرابه فى عصر الزهرى • والذى يظهر أن تدوين الزهرى للسنة لم يكن كالتدوين الذى تم على يد البخارى ومسلم أو أحمد وغيره من رجال المسانيد وانما كان عبارة عن تدوين كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب على أبواب العلم ومختلطا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين •

ثم شاع التدوين فى الجيل بعـد الزهرى وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠ هـ) وابن اسحاق (١٥١ هـ) • وبالمدينه سعيد بن أبى عروبه (١٥٦ هـ) والربيـع بن صـبيح (١٦٠ هـ) والامام مالك (١٧٩ هـ) وبالبصرة حماد بن سلمة (١٦٧ هـ) بالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام ابو عمرو الأوزاعى (١٥٧ هـ) وبواسط هشيم (١٧٣ هـ) وبخراسان عبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمـر (١٥٤ هـ) والرى جرير بن عبد الحميد (١٨٨ هـ) وكذلك فعل سفيان ابن عينيه (١٩٨ هـ) والليث بن سعد (١٧٥ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠ هـ) • وهؤلاء جميعا كانوا فى عصر واحـد ولا يدرى أيهم سبق الى ذلك وكان صنيعهم فى التدوين أن يجعموا حـديث رسول الله مختلطا بأقـوال الصحابة وفتاوى التابعين مع ضم الأبواب بعضها الى بعض فى كتاب واحـد •

ثم جاء القرن الثالث فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمـة الحـديث وتاليفهم العظيمة الخالدة فقـد بدأ التأليف فى هـذا القرن على طريقة المسانيد وهى جمع ما يروى عن الصحابة فى باب واحـد رغم تعـدد الموضوع كعبد الله بن موسى ومسدد البصرى وأسد بن موسى ونعيم بن حماد الخزاعى وعلى ذلك كان مسند الامام أحمد • وكانت طريقة هؤلاء افراد حـديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاليف دون أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ولكنهم يمزجون الصحيح بغيره • وهـذا ما حـد بامام المحـدثين فى عصره محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ) أن ينحوا فى التأليف منحى جـديدا بأن يقتصر

على الحديث الصحيح فقط وكذلك تلميذه الامام مسلم بن الحجاج (٢٦١ هـ) وكان لهما الفضل الكبير على مطالب الحديث ليصل الى الصحيح من غير بحث وسؤال بكتابهما وتبعهما بعد ذلك كثيرون من أهمها ، سنن أبى داود (٢٧٥ هـ) النسائى (٣٠٣ هـ) وسنن بن ماجة (٢٧٣ هـ) وقد جمع هؤلاء مصنفاتهم كل مصنفات الأئمة السابقين .

أما فى القرن الرابع الهجرى فلم يزد رجاله على رجال القرن الثالث شيئا جديدا ولا قليلا مما استدركوه عليهم وكل صنيعهم هو جمع ما جمعه من سبقهم والاعتماد على نقدهم والاكثار من طرق الحديث ومن أشهر الأئمة فى هذا العصر الامام سليمان بن أحمد الطبرانى (٣٦٠ هـ) وألف معاجمه الثلاثة ــ الكبير والأوسط والأصغر ــ ومنهم أيضا الدار قطنى (٣٨٥ هـ) وابن خزيمة (٣١١ هـ) وابن حبان (٣٥٤ هـ) الطحاوى (٣٢١ هـ) .

وبهذا تم تدوين السنة وجمعها وتمييز صحيحها من غيره ولم يكن لعلماء القرون التالية الا بعض استدراكات على كتب الصحاح كمستدرك أبى عبد الله الحاكم النيسابورى (٤٠٥ هـ) الذى استدرك على البخارى ومسلم أحاديث يرى أنها من الصحاح متفقة مع شرطيهما مع أنهما لم يخرجاها فى صحيحيهما وقد سلم له العلماء ومن أشهرهم الذهبى ــ قسما منها وخالفوه فى قسم آخر .

ويحسن أن لا ننسى تفكير عمر رضى الله عنه بتدوين السنة لكنه عدل حيث قال (انى كنت أردت أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى ــ والله ــ لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا)(١) .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ١٠٣ ــ ١٠٧ .
بحوث فى تاريخ السنة المشرفة للأستاذ أكرم ضيا العمرى ص ١٤١ ــ ١٥٣ .
لمحات فى أصول الحديث للدكتور محمد اديب صالح ص ٥٥ ــ ٧١ .
الحديث النبوى للشيخ محمد الصباغ ص ١١٧ ــ ١٢٢ .

ولم يكن استقصاء ما ورد عن الرسول بطرق عشوائية بل أخذوا بطرق علميه وأمينة وعملوا على ضوئه لا يمكن أن ينفذ منه نافذ ولهذا نجد شريعه متكاملة لا يمكن أن يلاحظ فيها أى نقص أو تناغر وتناقض فالكل يسير على خط واحد ووفق اصول ثابتة وراسخة ولكن أليست هذه المحجة البيضاء والدرب المنير والسبيل الذى « عوج فيه ولا التواء وهى لم توجد لفترة معينة لتضيع بعدها ادراج الرياح فهى لكل زمان ولكل مكان ولكل البشر أيضا كانوا وحيثما وجدوا وهى مصونة وتكفل بحفظها من قبل وجودها وباعثها ومادام الأمر كذلك فأمر الله نافذ وما يريده بائر ولا يمكن أن يصدها صاد أو يقف فى طريقه واقف فهو رب الحياة ومديرها وكل شيء سائر وفق ما يريده فنحمده على كل ما أسداه لنا من نعم ومن أولاها نعمة الاسلام التى من مبادئها وقيمها شريعته السمحة التى هى سبيل اسعاد البشر فى دنياهم قبل آخراهم . فهل حان لن أضناهم تعب السير وأشقاهم الضياع وأتعسهم ما فى الطريق من ظلم والتياع . فهل حان موعد الالتفات لسنة ليس صاحبها سوى رحمة مهداة .

ونسأل الله أن يمنحنا بعدا فى النظر وقوة فى الادراك لندرك ما فى شريعته من أسرار وحكم ومعجزات انه خبير مجيب وبالاجابة جدير وصلى الله على محمد خير من أقام على الأرض وأفضل من دفن فيها .

هذا وبعد هذا العرض الموجز للمكانة الشرعية للسنة وعناية الأمة الاسلامية بها نعرض للحديث عن لب البحث وهو الحديث المرسل .

والحمد لله رب العالمين ..

الحديث المرسـل :

المرسل في لغة العرب هو من أرسل الأمر اذا أطلقه وأهمله وهذا المفرد ، أما الجمع فيرد على مراسـل ومراسيل كمـا أنه يعرف لدى المتخصصين بعلم الحديث : بأنه الحديث الذى يرويه التابعى ويصل به بالنبى (صلى الله عليه وسلم) من غير أن يورد أحـدا من الصحابة ويمثلون لذلك ، بأن يقوم تابعى وليكن اسمه صالح مثلا ويقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كذا أو عمل كذا أو عمل عنده كذا وأقره النبى على فعلته تلك . وحينما نأخذ بجانبى التعريف فلعل الأمر يكون اطلاق التابعى لسند الحديث دون أن يفيد ويحدد من كان حلقـة وصل بين الرسول وهذا الراوى . والبعض يفرق فى نوعيات الرواة من التابعين وان كان المشهور منهم يرى التسوية بين أن يكون مورد الحديث من كبار التابعين أم من صـغارهم . لأن العـدل يجمعهم ويحصى حركاتهم(١) .

وهناك من يجرى التعريف على هذا النحو :

فهو ما جرى نسبته للرسول (صلى الله عليه وسلم) دون تفريق بين أن يكون القائم بهذا من التابعين أو من سواهم .

ومثال ذلك : ما رواه مالك بن أنس عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) . وكذلك رواية سـفيان الثورى عن جابر ابن عبد الله : وممن قال بهذا جلة من رجال العلم والخبراء بهذا الفن . ويترتب على هذا أن لا يوجد بون بينه وبين المنقطع . وان كان جماعة يقصرونه ويحصرون أمره بالتابعى فقط وعلى رأس هؤلاء الخطيب البغـدادى(٢) .

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٩٥ .
علوم الحديث لابن الصلاح ص١٧ .
علوم الحديث ومصطلحه للدكتور يحيى الصالح ص١٦٦ .
لمحات فى أصول الحديث للشيخ محمد اديب صالح ص ٢٢٦ .
(٢) لمحات فى أصول الحديث للشيخ محمد اديب صالح ص ٢٢٧ .

صور الحديث المرسل والآراء فى ذلك :

لهذا عدة صور ومجموعة من الأحوال ولم يتفق رأى الباحثين فى هذا الموضوع الا على شيء واحد أما البقية فهى مجال للتباين والنقاش : ولنعرضها كل حالة على حدة ليبين الأمر ويتضح المراد(١) .

١ ــ أن يجيء تابعى وتابعى من نمط معين فهو من عرف بأنه من بارزى التابعين ومن القمة منهم ويورد حديثا وينسبه للرسول ويكون قد عرف بادراكه الصحابة والتحاقه بهم ومعاشرته لهم . وهذا النوع هو ما أجمع على أن يطلق عليه اسم مرسل الحديث . وان كان بعض هذه الفئة لا تفرق بين تابعى وآخر بل الأمر لديهم سيان وعندهم واحد(٢) .

٢ ــ اذا حدث وانقطع أحد من رواة الحديث قبل أن يبلغ الصحابى ووجد بعض من الرواة لم يعلم شيئا عن ما وجد منه : وفى هذا قولان للعلماء (٣) :

(أ) أن يخرج هذا عن مجال المرسل ليشمله المنقطع ويدخل فى نطاقه . وممن اشتهر بهذا الرأى الحاكم الحافظ أبو عبد الله وغيره من أهل الحديث وان كان البعض يفرق فى الحكم فى هذه النقطة بالذات فهناك المنقطع والمعضل والأول من سقط منه شخص واحد والآخر ما سقط منه أكثر من ذلك .

(ب) حينما يكون الراوى ليس بارزا فى التابعين ومن أعاليهم بل من أدناهم ولم يلتق الا بواحد أو اثنين من الصحابة . وهنا حكى ابن عبد البر أنه لا يطلق عليه مرسلا بل هو من مجموعة المنقطع وذلك فيما اذا حدث سقوط قبل الوصول الى التابعى .

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ١٦٧ .
(٢) معرفة علوم الحديث للنيسبورى ص ٢٧ .
(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص٤٨ .

(ج) أن يورد فى الحديث أن رجلا روى عن الشيخ فلان والرجل فلان أو ما جرى مجرى ذلك وهذا يحمل على الارسال فى كثير من المؤلفات فى هذا النوع من العلم وهذا الصنف من الفن • والحاكم الحافظ أبو عبد الله سيجعله فى رمزة المنقطع ويخرجه عن جانب الارسال •

الخلاف بين اللفظية والمعنوية :

مهما تعددت الأقوال وتباينت الصور فان الأمر الذى يطبع نفسه ويفرض وجوده هو أن ما توصل اليه الجميع فى حقيقته لا يبعد عن بعض رغم ما قد يظهر من أنه بون شديد بين المختلفين فحينما ندخل فى أعماق البحث ونصل الى جوف نقطة الخلاف نخرج بما يلى :

الحفاظ :

لا يقبلونه بسبب علة كبيرة لديهم أوجبت عدم الذهاب معه الى درجة الأخذ به وهو الانقطاع •

الفقهاء :

نفس الحكم ونفس المنطلق فهو لا يعتبر عندهم وليس ضيفا عزيزا لديهم الا بذلك الداعم والمؤيد •

فهم ينطلقون من منطلق واحد ويخرجون بنتيجة واحدة اللهم الا ما يحدث للمرسل عند وجود مرتكز له وهذا ليس منه وانما لمن وقف بجانبه وسبب وقوفه أيضا(١) •

التابعون المعروفون بالارسال :

قد يظن الدارس فى أول وهلة أن كلمة تابعين هى بمعنى محصور يدخل فى حيز معين ويوجد لنا أشخاصا معدودين أو أكثر • فالحقيقة أن

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٥٦ •
حاشية علوم الحديث لابن الصلاح ص٥١ •

هـذه الكلمة تحمل مدلولا واسعا وكبيرا فالمسألة لا تتعلق بأشخاص ولا بزمن قصير محدود يمكن أن نعرف من عاشوا فيه وندرك منهم فهم على طبقات وربما بلغوا الخامسة عشر طبقـة عاشـوا أزمنة متعددة ومختلفة وربما أيضا كما اختلفت الأزمنة تختلف الأمكنة وهذا ما يجعل الباب أمام الباحث قريبا من الايصاد ولكن رحم الله سلفنا الذين أراحونا من أن ننفخ فى رماد أو ان نزرع فى صبخ فالكل مبين ومعين وليس أمام المرء الا أن يذهب للكتب ليجد الشيء جاهزا ومعدا • والطبقات هـذه يبدأ تسلسلها بمن لحقوا بالعشرة المبشرين بالجنة ويسير التسلسل حتى يصل غايته ونهايته عند الطبقة الأخيرة والتى بهـا ينتهى المطاف وهذه الطبقة هى من لقى أنس بن مالك من أهـل البصرة وعبـد الله ابن أبى أوفى من أهل الكوفة والسائب بن يزيد من أهل المدينة وعبد الله ابن الحارث بن جزء من أهل البصرة وأبا أمامة البـاهلى من أهـل الشـام(١) •

ومن أكابر التابعين الذين اشتهروا بالارسال وعرفوا به عبد الله ابن عـدى بن الخيار وقيس بن أبى حازم وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير • وهؤلاء أكثر ما رووه عن صحابة رسول الله •

وهناك فئة أخرى روت أحاديث من هذا الجانب ولكنها لم تصل الى درجة الاستئثار بذلك كما حدث فى المجموعة السالفة الذكر ومنهم :

أبى حازم سلمة بن دينار ويحيى بن سـعيد الأنصارى وقتادة وحميد الطويل وعطاء بن أبى رباح وسعيد بن أبى هـلال والحسن ابن أبى الحسن وابراهيم بن يزيد النخعى ومالك بن أنس وعمرو بن دينار ومعاوية بن قرة وزيد بن أسلم •

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى ص ١١٦ •
تدريب الراوى للسيوطى ص ٢٣٤ — ٢٣٥ •

ويسرني أن أترجم لاثنين من كبارهم وأضع اللمسات على شيء من تفاصيل حياتهما(١) .

١ ــ سعيد بن المسيب :

هو العالم الزاهد المعروف بصدق جهاده العلمي ، سعيد بن المسيب ابن حزن القرشي المخزومي من أكابر علماء التابعين والمعروفين بورعهم وصدق ايمانهم وروعة رسوخ المبادىء في عقولهم وأفكارهم . أبوه وجده صحابيان وقد وضعته أمه على أديم الأرض لسنتين مضتا من خلافة عمر (رضي الله عنه) وقد عمل منذ صغره وجاهد وكافح لينال العلم من صدور العلماء وفكر المفكرين ولهذا الغرض وهذه الغاية قام بالتجوال والترحال لهذا الغرض النبيل والهدف السامي فأخذ بالحديث يدرسه ويمحصه ويجري في أغواره حتى استطاع بصدق ايمانه وعظيم صبره أن يعد عالما فريدا بين كثير من العلماء .

وقد أورث فيه صدق ايمانه وعظيم قدره العلمي قسطا كبيرا من الورع والزهد حتى عد من طبقة الزهاد والمعرفين بذلك ولن نبعد عن الصواب حينما نذكر قصة يتميز فيها بجلاء صدق ما نقول ونقيم البرهان العلمي على هذا الزهد وذلك الورع فيما تورده كتب العلم عن هذا العالم أنه رفض أن يعطى يد ابنته للوليد بن عبد الملك حين عرض عليه ذلك أبوه فلم تغره الدراهم ولا الدنانير لأنه يعرف بعين الصواب أن هذه عمرها لم تسعد بشرا لوحدها وانما تقوم السعادة الحقة بمعرفة الخالق والعمل على ضوء هذه المعرفة ومن هذا البعد والمنطلق رفض اغراء السلطة ففيها المكانة الدنيوية بجوانبها المتعددة ولكنه قذف

(١) تدريب الراوي للسيوطي ص ١٩٥ ــ ٢٠٧ .
معرفة علوم الحديث للنيسبوري ص ٢٥ ــ ٢٦ .
الحديث النبوي للشيخ محمد الصباغ ص ١٧٢ ــ ١٧٤ .
لمحات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح ص ٢٢٦ ــ ٢٢٨ .
علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ١٦٦ ــ ١٦٨ .

بكل هذا ليستعيضه برجل لا سلطة لديه ولا مال وانما شيء من العلم وبعض من الورع فأعطاها لكثير بن أبي وداعة على درهمين وحيدين فقط •

وكل الأدلة تمدنا بفيض من مدى صبره وجلده في سبيل معرفة الحقيقة وتطبيقها فمهما جل الخطب وكثرت الصعاب فالمسألة مسألة عقيدة ودين ولن يتنازل عنهما مهما كلفه ذلك من تعذيب قد يصل الى حد الجلد والضرب والايذاء المعنوي والمادي • ونراه يقف موقفا صامدا وصابرا امام هشام بن اسماعيل نائب عبد الملك على المدينة حينما أخذ بضرب سعيد وتهديده له بازالة رأسه بسيف كان يوجهه اليه ويتهدده به لعله يرضى بمبايعة ابنه الوليد • فرفض وأبى حتى رأى الخصوم أنهم أمام جبل شاهق لا يمكن أن تزعزعه الشدائد والمصائب والمحن •

ونحن نتحدث عن سعيد والمشهور بالمراسيل فلعل من الخير أن نعرض بايجاز بعضا ممن أخذ عنهم وشيئا ممن روى عنهم فقد روى عن أبي بكر مرسلا وسمع من عمر وعثمان وأبي هريرة وزيد بن ثابت والسيدة عائشة وغيرهم ونعرج على بعض ممن رووا عن سعيد وهم :

سالم بن عبد الله والزهري وقتادة وشريك وأبو زناد وغيرهم • وقد عاش عمره مليئا بفيض من العلم وكثير من الزهد والورع حتى انتقل الى رحمة ربه مشيعا بالدعوات والابتهالات له بالمغفرة والرضوان وذلك سنة ٩٤هـ •

وقد ترك لنا مراسيلا هي من أصح ما تحتويه بطون الكتب من مراسيل وقد يكون من آثار كونه من أولاد الصحابة وقد لحق بالعشرة واشتهر بالفقه والقدرة على الافتاء حتى أصبح من الذين يجمع العلماء على صحة مراسيلهم والنقل عنها فهي مؤيدة بأسانيد صحيحة وكثير من

الشروط المطلوبة هى وافرة فى رواة من أحاديث فهو زعيم الفقهاء وأولهم فيما يعتـد به مالك وكثير من الأئمة(١) .

ويصدق فيه قوله تعالى :

« ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : « تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم » .

سـعيد بن جبير :

العالم الربانى والعابد الزاهـد اذ الزمان لازال يتحدث بعظيم ورعه وتقواه . وهو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسد الكوفى والدليل على عظيم قدره وسعة علمه ما يروى عن كبار رجال العلم فيه فسفيان الثورى يقول فيه بعـد تقديمه على ابراهيم النخعى (خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك)(٢) .

وفى ريعان شبابه عمل كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود والذى يعمل على قضاء الكوفة ثم اشتغل مع أبى بردة بن أبى موسى .

وقضى عمره صبورا لا يخاف فى الله لومة لائم ولا قوة سلطة وجبروت طاغية وهذا ما حمل الحجاج على قتله سنة ٩٥هـ . اذ يتهمه بمصاحبة ابن الأشعث والله العليم بصحة هذا القول أم هو مجرد ادعاء يقصد منه ازالة الصادع بالحق والمواجه لأعدائه .

وممن روى عنهم سـعيد عبـد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى . وهؤلاء جميعهم قـد أخذ عنهم أحاديث هى فى مجموعها من جملة الأحاديث المسندة .

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ٣٧٨ .
طبقات بن سعد ٥/٨٨ .
حلية الأولياء لأبى نعيم ٢/١٦١ .
(٢) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ٣٨٣ .

وهناك آخرون روى عنهم ولكن هى فى مجموعها أحاديث مرسلة وهم : أبو هريرة وأبو موسى الأشعرى وعلى والسيدة عائشة .

وفى مجال تفضيله على بعض من قاموا برواية هـذا النمط من الأحاديث يقول يحيى بن سعيد مثنيا على ما سمع من سعيد من مرسلات « مرسلات سعيد أحب الى من مرسلات عطاء » .

وهناك جمع أخذوا عن سعيد واهتموا بسماع ما لديه وما فى جعبته من قول ومن هؤلاء الأعمش ومنصور بن المعتمر ويعلى بن حكيم الثقفى وسماك بن حرب وغيرهم ومات وقـد تأسف لوفاته كل مسلم يعرف مكانته وفضله فترى ميمون بن مهران يقول : (مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل الا وهو محتاج الى علمه) (١) .

* * *

مراسيل الصحابى :

وهذه تتعلق بما يبلغ عنه الصحابى ويقوله كأن يخبر عن أمر فعله الرسول أو قاله أو ما شابه ذلك ويصاحب هذا ما هو مهم بالنسبة لهذه القضية وهو أن يكون الصحابى الوارد معنا حدث بذلك مع أنه لم يحضر الرسول لحداثة سنه كعبد الله بن عباس وغيره من صغار الصحابة أو كان اسلامه متأخرا أو نحو ذلك كما فى قول عائشة رضى الله عنها : « أول ما بدأ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » . وهذا النوع يكاد يكون مجمعا على صحته وبعده عن الضعف وخاصة عند كبـار المتخصصين فى هـذا النطاق من المباحث وفى الصحيحين ــ كما قال

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ٣٨٣ .
طبقات ابن سعد جـ٦/ص ١٧٨ .
تهذيب التهذيب لابن حجر جزء ٤ ص ١١ .

الامام النووى ـ من هذا الشيء ما لا يحصر ولا يحصى • أو على القول هذا يستشهد بحديث عائشة(١) •

وفى مجال تمايز المتحدث عنه وتفاضله يرد ما ذهب اليه أبو اسحق الاسفراييني الى أن مرسل الصحابى لا ينفرد بشيء عن سواه غير انه ربما وجد شيء من ذلك حينما نعلم بأن الصحابى روى عن صحابى والصحابة جميعهم عدول ولا يرد النقص عليهم • ولو حدث بأن صحابيا روى حديثا ولم يلحقه بصحابى آخر فيحتمل أن يكون هو السامع وأما لو حدث وروى الحديث غير صحابى ولم يبين الواسطة فى ذلك وهذا لا اعتبار به مع أنه نادر وقليل وليس له حجم فى هذا الموضوع الكبير • وقد حكم الخطيب على ذلك بقوله : « وهذا هو الأشبه بالصواب » •

وهناك جانب لا ينبغي أن نثير حوله الكثير من القول والحديث اذ هو جل ما أهتم به واشتغل فيه وهو ما يتعلق بأخبار الماضين والاسرائيليات والقصص والمواعظ وهذا فيما رواه الصحابة عن التابعين •

وخير القول فى هذا النطاق أن ما جاء كحديث مرسل قد يصل الحكم عليه الى حد التفوه بأنه قد يصل الي درجة الحديث الموصول المسند(٢) •

---

(١) لمحات فى اصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح ص ٢٣٣ •
(٢) لمحات فى اصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح ص ٢٣٣ •
الحديث النبوى للشيخ محمد الصباغ ص ١٧٤ •
الباعث الحديث (شرح اختصار علوم الحديث) للشيخ احمد محمد شاكر ص ٤٩ •

نماذج من الحديث المرسل :

الحديث دون أمثلة هو خوض فى غمار المجهول وسير فى فضاء واسع قد لا يصل المرء الى ما يريد ويبتغى من دلالات هى فى حقيقتها المطلوبة والمبتغاه ولكن بلا أمثلة قد يسير المرء خلق جدران الصمت ووراء أسوار النسيان فنجد ما يثبت به المرء مراده وما يطلبه أن يثبت كل فكرة يقولها عن طريق الشواهد الدافعة والأمثلة الموصلة الى أعماق اليقين بكل فكرة هى مطروحة فى الصميم من تلك المبادىء السامية والخطوط الرئيسية الثابتة . ولنلقى نظرة على بعض الأمثلة والتى هى من كتب متعددة لتكون الوجهة متضحة والمقصود منجلى .

صحيح مسلم :

فى صحيح مسلم نحو عشرة أحاديث مرسلة أخذت عليه وانتقد فيها وعذره أنه يوردها محتجا بالمسند منها لا بالمرسل مثل :

(أ) كقوله : « حدثنى محمد بن رافع ثنا حجين ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهى عن المزابنة ... الحديث » . هذا وان كان قد ورد لنا بصفته هذه والتى قد يؤأخذ بسببها فانه قد ورد ما يبعد عنه كل ما يسبب ضعفا أو تجريح حيث وجد طريق آخر له وصل به الى الرسول وبهذا نكون قد حصلنا على شىء كبير وجليل ألا وهو ازالة كل غبش يمكن أن يمس حديثا من الأحاديث ويكون قد ارتفع الى مستوى الأحاديث الصحيحة البعيدة عن كل ضعف وكل نقص ، فقد بلغنا هذا الحديث موصولا من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ومن حديث سعيد بن قينا وأبى الزبير عن جابر .

(ب) وكقوله : أخبرنى سالم بن عبد الله عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم (قال : لا تبتاعوا الثمر بالتمر هذا وان بدا على صورة هزيلة كما هو قد يبدو فقد أزيل الضعف

وجلت الغمة بأنه بلغنا حديث الزهرى عن سالم عن أبيه فأبعد عنه سوء الظن والشك .

(جـ) وكقوله : عن مالك عن عبد الله بن ابى بكر عن عبد الله بن أبى واقد : نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أكل الضحايا وبالنظرة المجردة على هذا الحديث ودون تعمق بأحاديث أخرى قد يظهر كحديث مرسل ونقف عند هذه الدرجة ولكن لما ذكره عبد الله بن أبى بكر لعمرة قال له : صدقت . سمعت عائشة تقول الحديث ... فهذا سند وبه احتج . وبهذا نكون قد حصلنا على ما يزيل عنه كل ما يرون عليه ويظلله بظل وغطاء فيجعله لا شيء بجوار ما يقف من أحاديث .

(د) وكقوله عن أبى العلاء الشخير : كان حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفسخ بعضه بعضا . وقد يكون هذا من النادر فى مثل هذه الأحاديث والذى لم يجد ما يرفعه ويوازيه ليعلى منه ويجعله يقف فى صف المقبول(١) .

موطأ مالك :

لقد وصلنا وتحصلنا على جل من الأحاديث المرسلة والتى تكثر ويفيض بها هذا المؤلف الذى هو فوق الشبهات وان وجد منه مجموعة من نمط هذه الأحاديث والتى وان ضعفت من وجه فالغالب منها قد وجد ما يدعمها ويرفع من مكانتها بحيث أنها تكاد بل اصبحت تقف على ارض ليست هشه بل هى صلبة كل الصلابة بعظيم ما تحتويه وما جملته من مضمون وعظيم ما وقف بجانبها وأصبح مساندا لها . وقد بلغت هذه الأحاديث فى جملتها مائتان واثنان وعشرون حديثا هى رغم ما حدث تعد مفخرة للفكر الاسلامى اذ هى فياضة بعظيم محتواها وكبير مدلولها ولعل من الخير أن نسوق ولو نزر يسير منها .

---

(١) تدريب الراوى لسيوطى ص ٢٠٦ .